الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا
INTERNATIONAL ISLAMIC UNIVERSITY MALAYSIA
يونيورسيتي إسلام انتارابغسا ملايسيا

إشكالية التمدن والترقي في الفكر الإيراني الحديث

(١٨٠٠- ١٩١٠م)

صدر الدين عبد الرحمن قادر

بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في معارف الوحي والتراث (أصول الدين ومقارنة الأديان)

كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية
الجامعة الإسلامية العالمية – ماليزيا

تموز ١٩٩٨م

INTERNATIONAL ISLAMIC UNIVERSITY
LIBRARY
Copy no: [illegible] (G)
Date: 6/5/98

DECLARATION OF AUTHOR'S RIGHTS

The copyright of this thesis belongs to the author under the terms of the Copyright Act, 1987 (Act 332) Due acknowledgement must always be made of the use of any material contained in, or derived from this thesis.

ملخص البحث

يهدف البحث إلى دراسة إشكالية التمدن والترقي في الفكر الإيـــــراني الحديـــث (١٨٠٠- ١٩١٠م) من خلال عرض القنوات الفكرية المتأثرة بالغرب والعلماء المسلمين في ذلك الوقت منهم جمال الدين الأفغاني. ويعرض البحث كذلك مساهمة علماء الدين في تسيير مجرى الأحداث (معارضة التبغ والثورة الدستورية) التي أثرت في مســـــار حركـــة التمدن والترقي.

ينحي هذا البحث منحاً تاريخياً تحليلياً قائماً على مراجعة الأدبيات التاريخية المتعلقة بالفترة المذكورة وبيان أهم الأحداث المفاهيم التي كانت سائدة بصدد دعوات الإصـــلاح ومقارنتها بنظيراتها في بقية العالم الإسلامي وأخيراً إبراز مواطن الاتفاق والاختلاف فيمـــا بين العلماء بصدد تحديد مسار حركة التمدن والترقي في إيران.

وخلص البحث إلى أن علاقة التمدن بالفكر الشيعي الإمامي لم تكن واضحة المعالم في بداية هذا القرن بل كانت هناك اختلافات جذرية داخل إطار هـــذا الفكـــر ولدهـــا إشكالية المحافظة على الهوية في الفكر الإيراني وفهم العلمـــاء إياهـــا. وقـــد أدت هـــذه الاختلافات إلى إخفاق المحاولات الرامية إلى تمدين المجتمع وفي النهاية إلى جمـــود حركـــة التمدن في إيران لعدة عقود.

ABSTRACT

This study aims at understanding the issue of modernity and development in the contemporary Iranian thought (1800-1910 A. C). It sheds light on the contributions of *Ulama* (Muslim scholars) and the intelligentsia to the movements of modernity. It also analyses the position of each party in the movements and their justification for their positions.

The study employed historical and analytical methodologies. The historical literature on that period has been reviewed and common calls for modernity were also highlighted and critically analyzed.

The study showed that the concept of modernity in Iranian thought was not clear at the beginning of the nineteenth and the beginning of twentieth century. There were essential differences between *Ulama* and intelligentsia with regard to this phenomenon. These differences resulted from the perceptions of *Ulama* for preserving the Islamic identity of Iranians.

APPROVAL PAGE

I certify that I have supervised and read this study and that in my opinion it confirms to acceptable standards of scholarly presentation and is fully adequate, in scope and quality, as a thesis for the degree of Master of Islamic Revealed Knowledge and Heritage. (Usul Al-Din and Comparative Religion).

.....

for Prof. Dr. Irfan Abdul Hameed Fattah
Supervisor
Date. 26.8.1998

I certify that I have read this study and that in my opinion it confirms to acceptable standards of scholarly presentation and is fully adequate, in scope and quality, as a thesis for the degree of Master of Islamic Revealed Knowledge and Heritage. (Usul Al-Din and Comparative Religion).

.....

Dr. Ibrahim Muhammad Zein
Examiner
Date: 26/8/98

This thesis was submitted to the Department of Usul Al-Din and Comparative Religion and accepted as partial fulfillment of the requirements for the degree of Master of Islamic Revealed Knowledge and Heritage. (Usul Al-Din and Comparative Religion).

.....

Dr. Wan Sabri Wan Yusoff
Head, Department of
Usul Al-Din and Comparative
Religion
Date: 26/8/98

This thesis was submitted to the Kulliyyah of Islamic Revealed Knowledge and Human Sciences and is accepted as partial fulfillment of the requirements for the degree of Master of Islamic Revealed Knowledge and Heritage. (Usul Al-Din and Comparative Religion).

.....

Prof. Dr. Abdullah Hassan
Dean, Kulliyyah of Islamic
Revealed Knowledge and
Human Sciences
Date: 25.8.98

Declaration

I hereby declare that this thesis is the result of my own investigations, except where otherwise stated. Other sources are acknowledged by footnotes giving explicit references and a bibliography is appended.

Name: **Sadraddin Abdul-Rahman Kadir**

Signature: ..... Date: 25 - 8 - 1998

حقوق الطبع محفوظة لـــ صدرالدين عبد الرحمن قادر
والجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا

إهداء

* الوالد والوالدة العزيزين أول من علّماني معنى الحياة، الأخوة والأخت الفاضلة، صديقي العزيز أمين، إلى كل من علمني حرفاً وأشعل شمعة ليُنير دربي.

* إلى أستاذي الفاضل الدكتور عرفان عبد الحميد عرفاناً له بالجميل.

* إلى كل من يتفانى ويخلص في العمل ليعيد مجد ونهضة الإسلام والمسلمين أهدي هذا الجهد المتواضع.

شكر وتقدير

جزيل الشكر والامتنان لكل من ساعدني في إنجاز وكتابة هذا البحث بشكل أو بـــآخر وأخصهم بالذكر:

- الجامعة الإسلامية العالمية - ماليزيا ممثلة في مديرها فضيلة الدكتور عبد الحميـــد أبـــو سليمان، ومن ثم كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية ممثلة في عميدها سعادة الأســـتاذ الدكتور عبد الله حسن.

- سعادة الأستاذ الدكتور عرفان عبد الحميد فتاح الذي لم يبخل عليَّ بنصائحه العلميـــة والمنهجية القيّمة.

- وكما أقدم جزيل شكري للأستاذ الفاضل الدكتور صادق العبادي الذي كان لي معيناً كبيراً في تزويدي بمصادر ومراجع مهمة فجزاه الله عني خير الجزاء. كما وأقدم شـــكري للدكتور الفاضل خطاب عمر والدكتور عثمان علي والأخوة آزاد علي ومعد أحمد خالد ومسعود لاوه وعبد الرحمن القامشلي وخالد إسماعيل لما قدموه من تصويبات وتوجيهات لغوية.

فإليهم جميعاً أكرر شكري وامتناني وأدعو الله العلي القدير أن يوفقهم جميعاً.

فهرست المحتويات

ملخص البحث ..... ب

ملخص البحث بالإنجليزية ..... ج

صفحة القبول ..... د

صفحة الإقرار ..... هـ

شكر وتقدير ..... ح

الفصل الأول: تمهيد ١

إشكالية البحث ٤

أهداف البحث ٥

أهمية البحث ٦

منهجية البحث ٦

التعريف بالمصطلحات ٧

الدراسات السابقة ٨

مدخل تاريخي للبحث –إيران ١٢

المبحث الأول: الصفويون وقيام الدولة الشيعية في إيران ١٣

الحالة السياسية في العهد الصفوي ١٤

بروز فكر التشيع ١٦

سمات الفكر السياسي في العهد الصفوي ١٩

المبحث الثاني: الأفشاريون والزنديون ٢١

الأفشاريون ٢١

والزنديون ٢٤

العهد القاجاري ٢٥

الفصل الثاني: التطور الفكري في إيران وأثره في نمو الوعي السياسي في المجتمع الإيراني ٢٩

المبحث الأول: التحولات السياسية والاجتماعية والاقتصادية في العهد القاجاري ٣٠

أولاً: التحولات الفكرية ٣٠

ثانياً: التحولات الاقتصادية والاجتماعية ٣٢

المبحث الثاني: تصاعد أثر علماء الدين في ميدان العمل السياسي في إيران ٣٦
علماء الدين والعمل السياسي ٣٦
الصراع الأخباري - الأصولي وأثره في عملية التجديد في الفكر الشيعي ٣٧
الصراع بين الاتجاهين ٣٩
الدولة والإشكالية المذهبية ٤٢

الفصل الثالث: حركة معارضة التبغ والثورة الدستورية في إيران ٤٩
المبحث الأول: حركة معارضة التبغ والثورة الدستوري ٥٠
حركة معارضة التبغ ٥٠
الثورة الدستورية ٥٥
الأسباب والعوامل التي كانت وراء قيام الثورة ٥٦
علاقة الحركة الدستورية بإشكالية التمدن والترقي ٥٩
المبحث الثاني: علماء الدين وممهدات التغيير الفكري والسياسي ٦٢
السيد جمال الدين الأفغاني ٦٢
الأفغاني وآثاره الفكرية السياسية في إيران ٦٥
أثره في حركة معارضة التبغ والثورة الدستورية ٦٧
ميرزا محمد حسين الغروي النائيني ١٨٠٦ - ١٩٣٦م ٦٩
الشيخ فضل الله نوري والثورة الدستورية ٧١

الفصل الرابع: تيار التغريب في الفكر الإيراني الحديث وأبرز رواده ٧٤
المبحث الأول: التيار التغريبي والقومي ومحاولاتها الإصلاحية ٧٥
تأثير التيار ذي النزعة القومية والميول الغربية في إيران والحركة الدستورية ٧٥
المحاولات الإصلاحية في إيران في القرن التاسع عشر ٧٨
المبحث الثاني: أبرز رموز التغريب الفكري في إيران ٨٤
ملكم خان ٨٤
ميرزا عبد الرحيم طالبوف ٨٦
الخاتمة ٩١
المصادر والمراجع ٩٤

تمهيد

المتأمل في خارطة العالم الإسلامي يجد في إطار الأمة الإسلامية ثروة عظيمة يكاد يتميز بها كل بلد سواء من الناحية السياسية أو الاجتماعية أو الجغرافية. ويجد أن بعضاً من هذه الدول قد فاقت دولاً أخرى من حيث الخصوصيات والأهمية. ولإيران، دولةً وشعباً، خصوصيات ومميزات ضمن الخارطة السياسية الإسلامية والعالمية قديماً وحديثاً. ولذلك فقد حظيت إيران وتاريخها والمؤسسات العلمية فيها باهتمام العديد من الباحثين، والكُتاب، وذلك لأهمية هذا القطر وما يتمتع به من موقع جغرافي، وحضاري، وثقل سياسي وفكري. وقد بلغ هذا الاهتمام ذروته بعد قيام الثورة الإيرانية ونجاحها عام ١٩٧٩م التي كانت لها تأثيرات في تغيير كثير من المفاهيم لا سيمّا في العالم الإسلامي. وتجسد هذا الاهتمام في كثير من الدراسات والبحوث التي ركزت على إيران أو تناولت هذه الثورة وأبعادها بالدراسة والتحليل، "لأن ما حدث في إيران كان ظاهرة لها مقدماتها وجذورها التي تفسرها وتوضح نسقها التاريخي، فهي على الرغم من كل مميزاتها وخصائصها موصولة بالأحداث التاريخية التي جرت على الساحة الإيرانية قبل قرون من الزمان"[1].

بغض النظر عن خصوصيات كل بلد إسلامي، فهناك إشكالية تحكمت في طريقة تعامل هذه البلدان الإسلامية مع الغرب، وهي إشكالية التفوق الغربي وتخلف العالم الإسلامي، وقد برزت هذه المسألة أكثر في القرنين الأخيرين مما دفع العلماء والمفكرين إلى دراسة الفرق الشاسع بين العالمين الإسلامي والغربي ومدى تخلف المسلمين في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعسكرية والتقنية. وهذا ما شغل العلماء والمفكرين في إيران أيضاً، ويمكن ملاحظة هذا من خلال الكتابات التي تناولت تلك الفترة، ومدى تأثير الفكر الغربي في حركة التمدن والترقي في إيران، وهذا الفرق ساعد على إثارة سؤال

---

[1] طبري: آزر، "**الدين والسياسية في إيران**" مجموعة بحوث صادرة عن جامعة ييل، بإشراف أستاذة التاريخ بجامعة كاليفورنيا لوس أنجلس، ورئيسة رابطة دراسات الشرق الأوسط، ترجمة الدكتور عرفان عبد الحميد فتاح، (غير منشور) ص٤.

يتصل بالأزمة الحضارية التي يعاني منها المسلمون في العصر الحديث وهو: (لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم؟)[1]. يرى البعض أن هذا الشعور يعود إلى القرن الخامس عشر الميلادي أيام ابن خلدون، والبعض الآخر يرجعه إلى بداية الغزو الاستعماري الحديث وتحديدا مع الغزو النابليوني لمصر[2]، وكذلك شعر المسلمون بذلك من خلال قنوات الاتصال بين العالمين الغربي والشرقي. ويمكن القول بأن اتصال العالم الإسلامي بالعالم الغربي ومدنيته أوجد حالة من التوتر الفكري التي صارت تنمو باطراد وخاصة بين أوساط العلماء والمفكرين، وبدأ السؤال عن إمكانات التكيف مع معطيات الحضارة الغربية أو مواجهة تحدياتها. كما أن السيطرة الاستعمارية دفعت الأمة الإسلامية وعلماءها للبحث عما في مسيرة الأمة من خلل. وقد برزت وجهتا نظر لمعالجة ما يمكن معالجته، الأولى رأت تقليد الغرب وتبنت هذه الوجهة بالدرجة الأولى النخبة ممن ذهبوا إلى الغرب وتشبعوا بالأفكار التي كانت موجودة هناك. والثانية رأت العودة إلى الذات الإسلامية مع الأخذ بنظر الاعتبار المعطيات الحضارية التي تجلب النفع للأمة الإسلامية دون الانصهار أو المحاكاة[3] وظهر الصراع جليا بين الاتجاهين من أجل التأثير في الجماهير من الناحيتين السياسية والدينية وبث آرائهم وأفكارهم في كل من إيران وتركيا بالدرجة الأولى.

لقد برز العديد من الحركات والدعوات التي رفعت شعارات الإصلاح والتمدن ونادت برفع المستوى الاجتماعي والسياسي، وخاصة في القرن التاسع عشر وبداية هذا القرن في العديد من الدول والأقطار الإسلامية. وكانت وراء هذه الحركات والدعوات شخصيات كان لها أثر كبير في تعبئة الجماهير واستنهاض مشاعرها. ففي المغرب الإسلامي قامت الحركة الإصلاحية التي قادها خير الدين التونسي ١٨١٠- ١٨٩٠م وأبان عن أطرها في كتابه الموسوم: **أقوم المسالك** والذي يمثل نمطا لحل إشكالية المواجهة

---

[1] أرسلان: الأمير شكيب، **لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم**، القاهرة، دار البشير، ١٩٨٥م.

[2] همام: جمشيد همام، **إيران وأيديشهء تجدد** [إيران وإشكالية التجديد]، طهران، فرزان روز، ط١، ١٩٩٦م، ص١٢.

[3] تعد كتابات الدكتور علي شريعتي ومحاضراته في إيران ومالك بن نبي في المغرب الإسلامي امتدادا لفكرة العودة إلى الذات وترسيخها في أذهان المسلمين وخاصة الطبقات المثقفة والمتعلمة ولا سيما الشباب وخاصة الشباب الجامعي.

مع المدنية الغربية، فقد أضاف إلى المسألة اعتبارات سياسية واجتماعية واقتصادية وإدارية عميقة. ثم ظهر في الجزائر الشيخ عبد الحميد بن باديس ١٨٨٩- ١٩٤٠م الذي عمل أيضاً على تشخيص علة تأخر المسلمين وبحث سبل النهوض بهم من خلال الاعتماد على القدرات الذاتية والفهم الصحيح لدين الإسلام صدوراً عن الحركة الإحيائية التي قادها جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده في مصر وبقية العالم الإسلامي. وفي تركيا قاد حركة الإصلاح الديني ومواجهة التغريب الشيخ بديع الزمان النورسي وفي الهند كان محمد إقبال رائداً لهذا الاتجاه.

ولم تكن الدعوة إلى التمدن والترقي في إيران بمعزل عن أخواتها السابقة عليها أو المتزامنة معها، حيث تأثرت إيران هي الأخرى من الناحية السياسية والفكرية بما جرى من تغييرات في العالم على الرغم من أن إيران تأخرت في عملية التمدن عن كل من مصر والدولة العثمانية بحوالي نصف قرن[1]. وقد برز في إيران تيار لا يستهان به ساهم في بروز حركة التمدن والترقي فيها بمشاركة شخصيات لها ثقلها السياسي والاجتماعي والديني. غير أن ما شهدته إيران في القرنين التاسع عشر والعشرين من محاولات إصلاحية ما زال بحاجة إلى المزيد من الدراسة والتمحيص، ولقلة الدراسات العربية التي تناولت بجريات الأحداث في إيران، يحاول هذا البحث إلقاء الضوء على الجهود والمحاولات الإصلاحية التي جرت في الفترة ما بين ١٨٠٠ - ١٩١٠م وذلك من خلال دراسة ما صار يعرف بـ: "إشكالية التمدن والترقي في إيران".

تم اختيار هذا الإطار الزمني لأنه يتوافق مع الاتجاهات الإصلاحية التي تشكلت على عموم الساحة الإسلامية ومنها إيران، والغالب عند المؤرخين للقرن التاسع عشر الميلادي أن الإرهاصات الأولى للحركات الإصلاحية بدأت مع بدايات القرن التاسع عشر وقد ربطها بعضهم بالحملة التي قام بها نابليون على مصر وآثارها السلبية والإيجابية على المنطقة

---

[1] النقري: علي محمد، **الاتجاه الغربي في منظار اجتماعي**، طهران، نشر معاونية العلاقات الاجتماعية في منظمة العمل الإسلامي- ط١، ١٩٨٩م، ص٨٤.

في حين ربطها آخرون بالبعثات العلمية التي أرسلها محمد علي باشا الكبير إلى الغـــرب في حين ربط جمع آخر إرهاصات الحركة الإصلاحية بالخطوات التي باشر بها السلطان محمود الثاني لإصلاح الشؤون العسكرية وتحديث الجيش بإرسال البعثات العسكرية إلى الغرب. ومهما اختلف وجهات النظر فإنها تلتقي جميعا في اعتبار القرن التاسع عشر الإطار الزمني الذي نشأت فيه الحركات الإصلاحية وهكذا كان الأمر بالنسبة لإيران.

إشكالية البحث:

يقدم هذا البحث عرضا لتطور الفكر الديني في إيران، وأثر علماء الدين الإيرانيين في التطورات الفكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية في العهد القاجاري الذي سيكون الإطار الزمني للبحث ١٨٠٠ -١٩١٠م وكذلك ظهور تيار التغريب والتيـــار القومـــي وتأثيرهما ومدى علاقتهما بالتيار الديني. تشغل هذه الفترة حيزا مهما في تـــاريخ إيـــران الحديث والمعاصر، ليس لامتدادها الزمني لأكثر من قرن فحسب، بل كذلك للتحـــولات التي شهدتها إيران إبان ذلك العهد من نمو الوعي السياسي والفكري، ولا ســـيما لـــدى علماء الدين، وتزايد نفوذهم في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، كمـــا تجلـــى ذلك النفوذ المتنامي في حركة معارضة التبغ* ١٨٩٠م، وفي الثورة الدســـتورية ١٩٠٦-١٩١١م التي قيدت صلاحيات الشاه وكذلك يحاول الباحث الإشارة إلى تأثير العوامـــل الخارجية ومساهمتها في عملية التمدن والترقي الإيراني وما رافقتها من تطـــورات علـــى المستويات السياسية والفكرية والعقائدية، ويمكن القول إن هذه الفترة صـــاغت الإطـــار الفكري ورسمت معالمه الدينية والقومية وأثرت في علاقاتهما.

لم تكن حركة التمدن والترقي بمعزل عن التطورات والأحداث التي كانت تجري في العالم الإسلامي ولا سيما عند متابعتنا لخيوط العلاقات التي كانت قائمة بين بعض علماء الشيعة وعلماء السنة مثل جمال الدين الأفغاني الذي كان له أثر مهم في التأثير على الرأي العام الإيراني وعلماء الدين الإيرانيين. ويبدو لنا هذا بنحو واضح من الرسالة التي بعثها إلى

* تستخدم كلمة التنباك أو التن في الكثير من الكتابات التي تناولت هذه الحركة، وخاصة في الكتابات الفارسية.

مرجع التقليد المطلق في تلك الفترة آية الله العظمى ميرزا محمد حسن الشيرازي الذي أصدر فتوى بتحريم التبغ في إيران -وشجعه على التحرك ضد استبداد ناصر الدين شاه وتماديه في حق إيران[1]، ويعقد الباحث مقارنة بين **حركة التمدن والترقي في إيران ودور حركات الإصلاح في العالم الإسلامي**.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى أن يقدم إجابات عن مجموعة من الأسئلة التي تساعد على فهم حركة التمدن والترقي وتوضيحها في إيران وهذه الأسئلة هي:

* ما طبيعة دعوة التمدن والترقي في القرن التاسع عشر في إيران؟

* ما أثر علماء الدين في رسم معالم الدعوة؟ ومن هم أبرز دعاة التجديد في تلك الفترة؟ وماذا كان أثر المثقفين والعلماء خارج إيران في دعم حركة التجديد والإصلاح والتغييرات الفكرية في إيران أثناء تلك الفترة؟

* ما هي الأطراف التي وقفت في وجه الحركة التجديدية والإصلاحية؟ وما هي مبررات كل طرف؟

* ما موقف علماء الدين والمفكرين من الحركة الدستورية، باعتبارها أحد أهم مطالب دعاة التقدم والترقي؟ وما مدى انسجام الحركة مع المذهب الشيعي الإمامي مع الإشارة إلى من أراد التنظير لها؟

* ما تأثير حركة معارضة التبغ والثورة الدستورية كنموذجين في تأثيرهما في تغيير مسار الفكر الديني والقومي في إيران؟ وازدياد إلمام العلماء وانخراطهم في العمل السياسي وإدراكهم ضرورة المشاركة في الأحداث السياسية والاجتماعية في إيران، والاحتكاك بالمجتمع وتوجيهه روحياً كي يحافظوا على مكانتهم من جهة والوقوف بوجه التيارات الفكرية والعقدية الأخرى التي بدأت تدخل إيران.

---

[1] شتا: إبراهيم الدسوقي، **الثورة الإيرانية وجذورها الأيديولوجية**، القاهرة، مطبعة الزهراء/ ١٩٨٨م، ص٦٤ وما بعدها.

ستتم دراسة الإشكالية من خلال مناقشة القضايا المتداخلة الآتية:

١- تأثير التيار الديني المتمثل في: السيد جمال الدين الأفغاني (١٨٣٩- ١٨٨٧م)، ومرجع التقليد الشيعي ميرزا محمد حسين النائيني (١٨٦٠- ١٩٣٦م)، وتأثير التيار القومي العلماني المتأثر بالغرب متمثلاً في: ملكم خان وطاليبوف والكرماني، في حركة التمدن والترقي في إيران.

٢- رد فعل العلماء التقليديين أمثال الشيخ فضل الله نوري والمجتهد كاظم اليزدي على دعاة التمدن والترقي في إيران ومعارضتهم الثورة الدستورية.

٣- الثورة الدستورية في إيران، منطلقاتها، وعوامل إخفاقها، وتأثيراتها الفكرية، وانهيار الدعوة إلى الحداثة، وقيام السلطوية الشاهنشاهية السياسية التي تزامنت مع ازدياد سلطة مرجعية التقليد المطلقة في الفكر الإمامي المعاصر.

٤- معرفة التيارات الرئيسة المؤثرة في الساحة الفكرية والسياسية الإيرانية، وأثر كل من علماء الدين وطبقة المثقفين في مسار الفكر الإيراني.

أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث في الأمور الآتية:

١- إلقاء الضوء على النهضة الإسلامية الحديثة في إيران في القرن التاسع عشر باعتبارها حلقةً وجزءاً من النهضة الحديثة التي شهدها العالم الإسلامي والتي أهملت إلى حد ما من قبل الكُتاب والباحثين العرب عموماً.

٢- دراسة جذور الحركة الفكرية السياسية - الدينية التي نمت وعلى وجه الخصوص بعد الصراع الإخباري- الأصولي، وتطورت في القرن العشرين وتوجت بثورة عام ١٩٧٩م التي أنهت حكم العائلة البهلوية في إيران.

٣- الإشارة إلى طبيعة الصراعات والتجمعات الفكرية التي شهدتها إيران في تلك الفترة.

٤- يأمل الباحث أن تساهم هذه الورقة المتواضعة في بلورة تصور علمي وعملي لما يجب أن

يكون عليه المشروع الإسلامي الحضاري وذلك من خلال الاستفادة من التجربة الغنية لحركة الإصلاح في إيران خلال الفترة الزمنية التي يتناولها البحث ١٨٠٠- ١٩١٠م.

منهجية البحث:

لهذه الدراسة طابع فكري وتاريخي وسياسي تبدأ بجمع ما يمكن جمعه وقراءته في موضوع البحث، ثم تحليل الأسس والمفاهيم الفكرية التي كانت سائدة في إيران، والدعوات التي كانت تنادي بالإصلاح، ثم مقارنتها مع ما كانت سائدة آنذاك في بقية العالم الإسلامي. وإبراز مواطن الاتفاق والاختلاف فيما بين العلماء حول التمدن والترقي في إيران. وأخيراً عرض نتائج هذا البحث وبيان ما يمكن الاستفادة منه في عملية النهوض الفكري المعاصر في العالم الإسلامي وإمكانات تفادي العقبات التي تحول أحياناً دون تحقيق الأهداف المرسومة للصحوة الإسلامية.

التعريف بالمصطلحات:

الإشكالية: يعرّف الجابري الإشكالية بأنها "منظومة من العلاقات التي تنسجها داخل فكر معين مشاكل عديدة مترابطة لا تتوفر إمكانية حلها منفردة ولا تقبل الحل من الناحية النظرية إلا في إطار حل عام يشملها جميعاً، وبعبارة أخرى أن الإشكالية هي النظرية، التي إذا لم تتوفر إمكانية صياغتها فهي توتر ونزوح نحو النظرية، أي نحو الاستقرار الفكري"[1].

التمدن والترقي:

إن ما ينبغي أن يجلب انتباهنا في هذا الموضوع هو أن الوعي بالتمدن والترقي في الفكر الإسلامي ولاسيما الحديث والمعاصر منه يختلف عن الوعي بهما في الفكر الغربي كما أنه يختلف من فئة لأخرى وإن كانت بينهما نقاط مشتركة وتداخل في بعض

---

[1] الجابري: محمد عابد، **إشكالية الفكر العربي المعاصر**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٠م، ص٣١. وللتفصيل أنظر: عليون، برهان، **نقد السياسية الدولة والدين**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٣، ١٩٩٣م، ص٣٢٧.

المفاهيم. ففي الفكر الغربي الحديث ومنذ القرن السادس عشر كان الوعي بالتقدم يعني التقدم المادي والعلمانية أي فصل الدين عن الشؤون السياسة والاقتصادية تحت شعار "دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله". [1] ولكن في العالم الإسلامي كان التمدن والترقي أو الإصلاح والتجديد يعني ابتداء نقل منظومة فكرية غربية المنبت إلى الوسط الإسلامي دون مراعاة لخصوصية هذا الوسط وشروطه الواقعية وضروراته العقدية وسمي دعاة هذا المنهج بالمغتربين، مما أثار ردود فعل سلبية تجاهه.

الفكر الإيراني:

لا يمكن تقديم تعريف شامل ودقيق للفكر الإيراني إلا من خلال دراسة التاريخ السياسي والفكري وتطورهما في هذا البلد، لأن الجانبين الفكري والسياسي فيها قد تعرضا لتقلبات وتغيرات كثيرة عبر التاريخ القديم والحديث وخاصة في العهد الصفوي وما بعده وأعطى تاريخ إيران وحضارتها وموقعها الجغرافي وتكوينها المذهبي والعرقي وطبيعة علاقاتها الداخلية والخارجية طابعا فكريا مميزا من بقية البلدان الإسلامية كانت وما تزال عملية الأخذ والعطاء الفكري فيها مستمرا.

الدراسات السابقة:

تناولت فانيسيا مارتن[2] في هذه الدراسة مسؤولية الإسلام وعلمائه في مواجهة مخاطر التحديات الغربية، وأثر بناء المعاهد الغربية في فترة الثورة الدستورية وما بعدها في الفكر الإيراني. وتناولت أيضا ردود فعل العلماء، ومدى العلاقة بين الإسلام والنظم الدستورية الغربية.

---

[1] المراكشي: محمد صالح، **قراءات في الفكر العربي الحديث والمعاصر**،تونس، الدار التونسية للطباعة والنشر، ١٩٩٢م، ص٢٤٥ وما بعدها.

[2] Vanessa Martin, *Islam and Modernization: The Iranian Revolution of 1906*, I. B. Tauris & Co Ltd, London, 1989.

وتناولت الباحثة الثورة الدستورية باعتبارها جزءا من مشروع الحداثة الذي أثـــر في الفكر والمجتمع الإيراني، ومدى تأثير الثورة الدستورية ومساهمتها في تطور الفكر السياسي لدى علماء الدين والمفكرين في إيران، وكذلك تأثير الفكر الغربي سياســـيا واقتصاديـــا واجتماعيا وعلميا في إيران وشعوبها، وأشارت الباحثة إلى بعض العلماء الذين كان لهم أثر بارز في إيران على المستويين الفكري والسياسي وتغيير الكثير من مجريات الأحداث، مثل الأفغاني والطباطبائي والبهبهاني.

ركزت دراسة روكني[1] على تطور فكـــرة الحداثـــة (MODERNITY) في إيـــران في منتصف القرن التاسع عشر واشارت إلى مدى تأثر إيران بالنهضة الأوربية وأثر العلمـــاء والمفكرين في بلورة هذا التأثير فيها. وقارن الباحث بين الحداثة في إيران وأوروبا وذكر أن أتباع تيارين رئيسين دعوا إلى الحداثة في إيران، الأول مثله علماء الدين وخاصة الذيـــن تأثروا بآراء جمال الدين الأفغاني وأفكاره وأخذوا بمنهجه. أما التيار الثاني فمثله ذوو النزعة العلمانية، ومن أبرز روادها ملكم خان الذي يعد مؤسسا لهـــا في إيـــران وآخونـــد زاده وطالبيوف.

تتمحور دراسة جمشيد بهنام[2] حول السؤال الذي يثيره الكاتب وهـــي: إشكاليـــة التجدد، مصدرها ومتى دخلت إيران وانشغل بها الكتاب والمفكرون الإيرانيون؟ وهل أن مصطلحي التجديد والإصلاح متضادين أو مترادفين؟

تناول الباحث في هذه الدراسة مسألة التجدد في إيران وخاصة في المائة والخمســـين السنة الماضية. وعرض إشكالية التجديد والإصلاح؛ أهي مرادفة للتغريـــب؟ أم للمســـألة خصوصيات وأبعاد أخرى في إيران؟ أشارت في المقدمة إلى أبرز الأحداث التي كان لهـــا تأثيرها الفكري في إيران، وكذلك العوامل التي ساهمت في عملية التمدن والترقي فيها، من بعثات دراسية أو دبلوماسية أو التجار الإيرانيين والأجانب وخاصة من دول أوروبا الغربية

---

[1] A. Rokni, Mitra, *The Project of Modernity in Iran 1850 to 1900*, Dissertation Abstract International, A49/02, Aug, 1988, p. 356.

[2] بهنام: جمشيد **إيران وإشكالية التجدد**، طبع ونشر فرزان روز –طهران، ١٩٩٥م. (*باللغة الفارسية*)

وروسيا. ويورد الأحداث والوقائع التاريخية التي صبت في مجرى التجدد في إيران وأشار كذلك إلى أبرز الشاهات في إيران الذين ساهموا في هذا المجال وخاصة منذ بدايات القرن التاسع عشر والقرن العشرين. وفي الفصل الثاني أشار الكاتب إلى الميادين التي كانت تجري فيها عملية التجديد والإصلاح، وأبرز العلماء والمفكرين الذين كان لهم أثر في عملية التجديد. وفي الفصل الثالث ذكر الكاتب مراحل التجديد والإصلاح مقسماً إياها إلى ثلاث مراحل. وفي الفصل الرابع والأخير وتحت عنوان "**نحو التجديد**"، أشار إلى سبع نقاط مهمة ساهمت في تطوير فكرة التجديد، ورأى الكاتب أن إيران قطعت شوطاً نحو عملية التجديد والتغيير في المجالين الفكري والسياسي.

رسالة تنبيه الأمة وتنزيه الملة كتبها الشيخ محمد حسين النائيني[1] (١٢٧٣-١٣٥٥هـ/١٨٦٠- ١٩٣٦م) أيام الحركة الدستورية في إيران عندما كان أحد دعاتها في عهد أستاذه الشيخ كاظم الخراساني الذي عرف بتبنيه لهذه الحركة التحررية. وقد بيّن النائيني في رسالته أن الدين الإسلامي يدعو إلى الشورى وتشكيل المجالس النيابية لاستشارتهم في القرارات التي تتخذها الدولة، وعدَّ الدين الإسلامي دين الحرية لا دين التعسف والذلة، وأنه يدعو إلى التعليم العام للنساء والرجال.

ويعد كتاب تنبيه الأمة وتنزيه الملة أهم تنظير لموقف علماء الدين الذين وقفوا إلى جانب الحركة الدستورية وحاول إضفاء الصفة الشرعية عليها باعتبارها حقاً لا يتناقض أو يتعارض مع المبادئ الإسلامية. ويُعَدُّ الكتاب كذلك وثيقة مهمة تعبر عن قمة ما وصل إليه الفكر الشيعي الإمامي في القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، فضلاً عن أنه يعد منذ صدوره أساساً ومرجعاً مهماً لموقف كثير من فقهاء الشيعة. وأورد النائيني آراءً جريئة فيما يخص السلطات -التي وصفها بالمستبدة- والدستور وواجبات الدولة وقيامها

---

[1] النائيني، الميرزا محمد حسين، **تنبيه الأمة وتنزيه الملّة**، أعادت نشره مجلة المورسم العدد الخامس، السنة الثانية، ١٩٩٠م.

في عصر الغيبة وما ينبغي عليه أن يكون النظام السياسي الذي يحكم المسلمين وكيفية تعامله مع رعاياه.

قسم علي أكبر ويلايتي[1] كتابه إلى فصلين تناول في الفصل الأول المقدمات الفكرية التي كانت سائدة قبل الصفويين في إيران مشيراً إلى أن العلماء لم يكونوا ضيقي الأفق والفكر وما كانوا يتخصصون فقط في مجال واحد بل كانوا يلمون، إلى جانب الفقه والتفسير، بالمنطق والفلسفة والكلام والطب. ثم ذكر أثر العلماء في معارضة السلطات الجائرة، وأن العديد منهم قد ضحوا بأنفسهم في هذا السبيل. ثم أشار إلى بدايات التدخل الغربي في إيران وخاصة الإنجليز عن طريق شركة الهند الشرقية، ومن ثم بروز النفوذ الماسوني في إيران وتطوره في العهد القاجاري. وفي الفصل الثاني تناول الباحث العوامل والمقدمات الفكرية التي ساهمت فيما بعد في بلورة الحركة الدستورية وأشار إلى ميرزا ملكم خان، وتأثيره في الساحة الفكرية الإيرانية من ناحية التمدن والترقي، كما أشار فيه أيضاً إلى التوجه العلماني لميرزا ملكم خان الذي كان يتظاهر بالإسلام في حين كانت توجهاته وتصرفاته توحي بعكس ما يدعي فقد كان يدعو إلى تطبيق النهج الغربي في التمدن والترقي. ثم ذكر الكاتب أبرز المعاهدات التي أبرمت بين إيران والإنجليز، منها امتيازي التبغ ورويتر، وأثر ميرزا ملكم خان فيهما. وسلط الكاتب الأضواء على أبرز الشخصيات التي كان لها تأثير في الحركة المشروطية منهم الحاج زين العابدين المراغي وميرزا آغا خان الكرماني.

تناولت كيدي[2] في كتابها الباحثة الجوانب الاجتماعية والسياسية والدينية في إيران وتأثير بعضها في بعض. وذكرت تأثير الدين في التكوين القومي الإيراني، وتناولت ضمن البحوث أيضاً الثورة الدستورية وكيف أنها كانت محاولة فريدة من نوعها في بلد مثل إيران بتركيبتها الاجتماعية والسياسية والاجتماعية والدينية، وكذلك كتبت عن التغيرات الاقتصادية التي جرت في إيران في القرن التاسع عشر حتى عام ١٩١٤م ومن ثم عامل النفط وتأثيره في الجانب السياسي والاقتصادي ومدى التغيرات التي رافقت استكشافه في إيران.

---

[1] ويلايتي، علي أكبر، **مقدمة فكرية للنهضة المشروطية**، الطبعة السادسة ١٩٩٣م، إيران، دفتر نشر فرهنك إسلامي- (*باللغة الفارسية*).

[2] Keddie: Nikki R., *Iran, Religion, Politics and Society: Collected Essayes*, London, Frank Cass, 1980.

الفصل الأول

مدخل تاريخي للبحث – إيران